

والسؤال الذي يطرح نفسه هو: من هو سليمان بن كيسان كاتب هذا الخطاب؟ لقد كانت عشيرة كيسان التي تنتمي الى بني كلب ذات مركز مرموق في العصر الاموي ولا سيما منذ خلافة الوليد بن عبد الملك حيث احتل أفرادها مراكز ادارية وتعليمية هامة. فصالح بن كيسان عهد اليه بالاشراف على اعادة بناء المسجد النبوي الشريف في خلافة الوليد بن عبد الملك^٦. وسليمان بن سليم بن كيسان كان مؤدباً لابن هشام بن عبد الملك «محمد»^٧. وفي فترة لاحقة اثر مقتل الوليد بن يزيد سنة ١٢٦ هـ / ٧٤٤ م نجد سليمان بن كيسان هذا في العراق يتلقى الكتب والرسائل من منصور بن جمهور - أحد زعماء المحرضين على قتل الوليد والمؤيدين ليزيد بن الوليد بن عبد الملك - لتوزيعها على القواد ورؤساء الجيوش، ويأمره في احداها بالبقاء القبض على يوسف بن عمر الثقفي والي العراق للوليد بن يزيد^٨. الا أن سليمان بن كيسان أمسك هذه الرسائل وأفشى فحواها ليوسف بن عمر الذي لم يجد مفراً سوى الهرب الى البلقاء بمساعدة سليمان بن كيسان. هذا وقد رافق يوسف بن عمر في هروبه الى البلقاء كلا من سفيان بن سلامه بن سليم بن كيسان وغسان بن قعاس العذري، ولكن ما لبث أن عُرف أمر وجود يوسف بن عمر في البلقاء بين أهله فألقي القبض

عليه وأرسل الى دمشق حيث سجن في الخضراء^٩ القصر الذي كان قد ابتناه معاوية بن ابي سفيان جنوبي المسجد الاموي وعرف بذلك الاسم نسبة الى قبته الخضراء.

أما بالنسبة الى سلمان بن كيسان الوارد اسمه في النقش من قصر المشتى فاني لم أتمكن من الحصول على أية معلومات عنه من المصادر التاريخية وقواميس الافراد، وربما يكون شقيقا لسليمان أو أحد أقربائه، وهذه العلاقة أو القرابة ترجح بناء قصر المشتى في فترة متأخرة من العصر الاموي مما يفسر عدم اكتمال بناء القصر اطلاقاً.

لكن الأهم من محاولة تأريخ الشروع في بناء قصر المشتى هو العلاقات القوية التي كانت قائمة بين الاردن أو البلقاء بشكل خاص والعراق والتي انعكست ليس فقط في بناء القصر وزخارف واجهته الحجرية^{١٠}، بل أيضاً في لجوء والي العراق يوسف بن عمر وهربه الى البلقاء لينضم الى أهله واقربائه. وليس هرب يوسف بن عمر الى البلقاء بأمر مستغرب فقد عهد الى شقيقه محمد بن عمر الثقفي بادارة شؤون البلقاء^{١١}، وقبل ذلك كانت في البلقاء خزائن الحجاج بن يوسف وعياله فنقلهم يزيد بن المهلب وما معهم اليه، وذلك في خلافة

٧ تهذيب تاريخ ابن عساکر، ح ٦: ٢٧٧.

٨ الطبري، تاريخ، ح ٧: ٢٧١ - ٢٧٢

ومن الجدير ذكره هنا ان أم الوليد بن يزيد هي زينب بنت محمد بن يوسف الثقفي أخ الحجاج بن يوسف. راجع:

حسين عطوان، الوليد بن يزيد: عرض ونقد، (بيروت،

١٩٨١) ص ٦١ - ٦٤.

٩ الطبري، ح ٧: ٢٧٣ - ٢٧٤.

١٠ فمثلاً استعمال الطوب والاقبية البرميلية لتسقيف قاعات القصر بالإضافة الى بعض العناصر الزخرفية المحفورة على واجهة القصر الحجرية كالحصان المجنح والجريفون وأوراق النخيل المجنحة تعكس مؤثرات من بلاد ما بين النهرين.

لاخذ فكرة عن المؤثرات المختلفة التي يمكن ملاحظتها في هذا القصر راجع:

R. Hillenbrand, Islamic Art at the Crossroads: East Versus West at Mshatta, in *Essays in Islamic Art and Architecture: in honour of Katharina Otto-Dorn*, ed. A. Daneshvazi, p. 63-86.

حتى قاعة الاستقبال ذات الحنيات الثلاث ما هي - في رأي هنري ستيرن - الا نتيجة لامتزاج المؤثرات الساسانية (غرفة مربعة تعلوها قبة مع حنيات جانبية منبسطة) والمؤثرات العمائرية المحلية.

H. Stern, Notes sur L'architecture des chateaux Omeyyades, *Ars Islamica*, XI-XII (1946) p. 89 ff.

١١ خليفة بن خياط، تاريخ، (دمشق، ١٩٦٧) ف ص ٣٩٤.

نقش عربي من قصر المشتى وأهميته

د. غازي بيشه

سابقا قد نشر صورة لهذه الكتابة مع قراءة أولية في مجلد المؤتمر الخامس للآثار في البلاد العربية.^٢

تتألف الكتابة (لوحة ١ - ٢) من خمسة أسطر بالخط الكوفي. وأصبحت بعض الاحرف باهتة نتيجة تآكل سطح الطوب بحيث يصعب قراءة النص كلية لا سيما بعد كسر الحافة السفلى لذا فان محاولة القراءة التالية هي محاولة أولية وربما تحتاج الى بعض التعديلات والاضافات.

- ١ - بسم الله الرحمن [الرحيم]
- ٢ - من سلمان ابن كيسان الى [خيلا]
- ٣ - ابن سلام عليك ورحمة [الله]
- ٤ - وبركاته أما بعد فاني أحمد [اليك الله]
- ٥ - المسلمون؟

واضح من النص أننا بصدد خطاب أو رسالة شبيهة بتلك الكتابة التي عثر عليها في خربة المفجر - الذي يعرف خطأ باسم قصر هشام القريب من مدينة أريحا - والمكتوبة بالحبر الداكن على لوح من الرخام.^٥

بالرغم من الدراسات العديدة التي حظي بها قصر المشتى وما أسيل من حبر في مناقشة تأريخ بنائه^١ فان هناك بعض العلماء الذين ما زالوا يميلون الى الشك في نسبته الى العصر الاموي.^٢ لذلك فان اي دليل مادي يمكن أن يلقي الضوء على تاريخ بناء هذا القصر وعلاقته بالابنية الاموية الاخرى يعتبر في غاية الاهمية.

والنقش - موضوع هذه الدراسة - محفور على لوح من الطوب المشوي تبلغ قياساته القصوى ٢٠ سم طولاً، و ١١ سم عرضاً، و ٦ سم سمكاً، وهو مكسور عند حافته السفلى من جهة اليسار. ويبدو جلياً بأن الكتابة كانت قد حفرت على الطوب قبل الشوي. ولوح الطوب هذا (لوحة ١) كان قد عثر عليه من قبل دائرة الآثار العامة أثناء عملية التنظيفات وازالة انقاض التي جرت في شهر حزيران سنة ١٩٦٤ وهو محفوظ الان في متحف عمان الاثري تحت الرقم J9883.^٣ هذا وكان الاستاذ سليمان دغنه الموظف في دائرة الآثار

٢ اثناء عملية التنظيفات هذه عثر على لوح آخر من الطوب المشوي حفرت عليه بدوره بعض الكتابات التي لم أتمكن من قراءتها وتحليلها (لوحة ٣).

٤ سليمان دغنه «القصور الاسلامية في الاردن»، المؤتمر الخامس للآثار في البلاد العربية (القاهرة، ١٩٦٩، ٢٤ - نيسان، ١٩٦٩)، جامعة الدول العربية، الادارة الثقافية ص ٤٧٣ - ٤٧٧، (لوحة ٢).

٥ D. C. Barmaki, Excavations at Khirbet al-Mafjar, III, *QDAP*, Vol. VIII, No. 1, (1938) p. 51-53; Pl. XXXIV.2.

٦ البلاذري، فتوح البلدان، (بيروت، ١٩٥٧) ص ١٣ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (القاهرة، ١٩٦١ ف) ح ٦: ٤٣٥ السمهوري، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، (القاهرة، ١٣١٦ هـ) ص ٢٧٠

١ لاخذ فكرة عن هذه الدراسات والمناقشات التي دارت حول قصر المشتى وتأريخه راجع :

K. A. C. Creswell, *Early Muslim Architecture*, New York, 1979, Vol. I, pt. II, p. 578-606.

يجد القارئ جدولاً للمصادر والمراجع رتبته ترتيباً زمنياً حسب تاريخ ظهورها في الصفحات ٦٠٤ - ٦٠٦، ثم ملخصاً للمناقشات التي دارت حول تاريخ القصر في الصفحات ٦٢٣ - ٦٤١. وكان هذا الكتاب القيم قد نشر اصلاً في اكسفورد في السنوات ما بين ١٩٣٢ - ١٩٤٠ في جزئين.

٢ F. Altheim, *Niedergang der alten Welt*, Frankfurt, 1952, p. 143 f.

R. Dussaud, *La Penetration des Arabes en Syrie avant L'Islam*, Paris, 1955 p. 64ff.

سليمان بن عبد الملك الذي كان ناقما على أقرباء الحجاج^{١٢}. والواقع أن القوات السورية التي كانت متمركزة في العراق منذ ولاية الحجاج بن يوسف كانت تتشكل في معظمها من قبائل يمانية من جنوب سوريا (منطقة سهل حوران والاردن) فنقلوا الى العراق لحفظ الامن وفرض ادارة الدولة حيث استقروا مع عائلاتهم وضربوا جذورا لهم هناك^{١٣} فكان من الطبيعي ان تستمر الصلات بين من نزحوا الى العراق وأقربائهم في جنوب سوريا والاردن.

ان هذه العلاقات الوثيقة بين الاردن والعراق في العصر الاموي تطرح امام الباحثين والمهتمين بالفنون والعمارة الاسلامية قضية الاصول المعمارية للقصور الاموية في الاردن بشكل عام وقصر المشتى بشكل خاص ثم أولوية ظهور بعض العناصر المعمارية الفريدة. فوجود معظم هذه القصور في الاردن وندرتها في العراق حدا بالباحثين الى التركيز على الطرز المعمارية السورية المحلية ومقارنة القصور الاموية بالقلاع الرومانية والابنية البيزنطية. الا ان التنقيبات الاثرية التي قامت بها دائرة الآثار العراقية خلال العقود الماضية في كل من واسط والكوفة^{١٤} تستوجب اعادة النظر في دور الابنية الاموية في العراق

وتأثيرها على تطور القصور الاموية في الاردن وسوريا^{١٥} وهو موضوع أمل أن أعود اليه مستقبلا في بحث أكثر تفصيلا.

قضية أخرى تطرحها كتابة قصر المشتى تتعلق بنسبة الابنية والقصور الاموية الى خلفاء وأمراء بني أمية لا سيما الى الوليد بن يزيد الذي عاش معظم سني شبابه منفيا في بادية الاردن متنقلا بين واحة الأزرق ووادي الغدق وباير وذلك قبل تربعه سدة الخلافة. فمثلا نجد بعض الباحثين قد نسبوا بناء قصور المشتى والطوبة وخربة المفجر وحتى قصر عمرة الى الوليد الثاني وكأن نشاطه الوحيد كان مقتصرا على تشييد الابنية الباذخة وزخرفتها. ولكن أليس من المحتمل أن تكون بعض تلك القصور على الاقل قد شيدت لوال تمكن من جمع ثروة طائلة اثناء ولايته كيوستف بن عمر أو أحد أقربائه؟

سؤال لا يمكن الاجابة عنه بالقطع في ضوء الادلة المادية والتاريخية المتوفرة ولكنه احتمال يجب أخذه بعين الاعتبار الى حين اكتشاف شواهد كتابية تلقي الضوء على باني تلك القصور.

غازي بيثية
دائرة الآثار العامة
عمان - الاردن

١٥ تطرق الى هذا الموضوع البروفسور جرابار الذي لفت النظر الى أوجه الشبه بين مخطط قصر المشتى من جهة وبين دار الامارة في الكوفة وقصر الخليفة ابو جعفر المنصور في بغداد من جهة اخرى. كما أشار الى الدور الذي يحتمل أن تكون مدينة واسط قد لعبته في تطور المخطط المحوري الذي نلحظه في المشتى.

١٢ البلاذري، أنساب الاشراف، ص ١٩٨
ابن خلدون، تاريخ، (بيروت، ١٩٥٧) مجلد ٣، جزء ١، ص: ١٦٦ نقلا عن الدكتور حسين عطوان، الوليد بن يزيد، ص ٦٣.

١٣ P. Crone, *Slaves on Horses*, Cambridge, 1980, p. 47, notes 260, 333.

١٤ F. Safar, *Wasit: the Sixth Seasons Excavations*, Cairo, 1945.

محمد علي مصطفى «تقرير أولي عن التنقيب في الكوفة للموسم الثاني «سوم» مجلد ١٢ (١٩٥٦) ص ٢ - ٣٢.

O. Grabar, Al-Mushatta, Baghdad, and Wasit, in *The World of Islam: Studies in Honour of P. K. Hitti*, ed. J. Winder, London, 1959, p. 101-108.